قافية الهمزة

[١]

وِلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فى قُرْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ مِغيبَهُ الأَقْذاءُ

* المناسبة التى قيل فيها هذا البيت:

هذا هو البيت «التاسع عشر» من قصيدة قالها «أبو الطيب» يمدح أبا عَلِيّ هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكتاب، وكان يذهب إلى التصوف.

اللُّغَة: المَغيب والغَيْبة بمعنى واحد، وقرّت عينه: أى بَرُدت؛ لأن دموع الفرح باردة، وهو ضد سخنت؛ لأن دمع الحزن حار. والأَقذاء: جمع قذي، وهو ما يقع فى العين، وفى الشراب، أما الإِقذاء (بكسر الهمزة) فهو مصدر أقذيت عينه؛ إذا طرحت فيها القذى.

* علام يدور هذا البيت؟:

يدور حول: القُرب والبُعْد وأثرهما فى حياتنا!

* المثل منثورًا:

كل عين تُسَرّ بقربه، وتتأذى بغيبته عنه، كأن غيبته قَذًى للعيون.

قافية الباء

[١]

ضُروبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُروبَا فَأَعْذَرُهُم أَشَفُّهُمُ حَبِيبًا

* المناسبة التى قيل فيها المَثَلُ:

هذا البيت هو مَطْلَعُ قصيدةٍ يمدح بها عليّ بن مكرَم التميمي، وهو على بن محمد بن سَيّار بن مكرم، وكان يحب الرمي.

اللغة: الضروب: جمع ضَرْب؛ وهو الصِّنْفُ من الناس. أشَفُّهُمُ: أرَقُّهم وأفضلهم.

يدور هذا المثل حول: أحق المحبين بالعُذر.

ليس فينا من لا يعرف الحب، والناس يختلفون فيمن يعشقون، ولهم فيما يعشقون مذاهب، ولكن أحقهم بالعذر في العشق والمحبة: من كان محبوبه أشَفّ من سواه وأفضل.

[٢]

إذَا لَـمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ كَأَصْلِه
فَمَا الّـذِى يُغْنِي كِـرَامُ المناصِب؟!

* المُنَاسَبَة:

هذا هو البيت السابع والعشرون من قصيدة قالها: يمدح أبا القاسم طاهر بن الحُسَين العَلَويّ.

اللغة: النّسِيبُ: الشريفُ الأصل. وهو ذو النسب الطاهر. والمناصِب: جمع مَنصب (بكسر الصاد) وهو الأصل. يُغني: يَنْفع.

* الفكرةُ التى يَدُورُ حَوْلَها البَيْتُ:

شرفُ المرءِ بفعله لا بقُرْبِه.

* وماذا يريد أن يقول؟:

يقول: ليس القُرْبُ والبُعْدُ بالنسب، إنما هو بالفعل، فإذا كان الشريف صادقًا، ولم يفعل فعل آبائه، فليس له بشرفه فخر، لأن كرم الأصول لا يغني عن لُؤم النفس. كما قال أبو يعقوب الحرمي.

إذَا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ القديمَ بحادِثٍ من المجْدِ لم يَنْفَعْك ما كان من قَبْلُ

وكقول البُحْتُرِي:

ولَـسْـتُ أَعْـتَـدُّ لِلْفَتَى حَسَبًا حَتَّى يُـرَى فى فَعَالِه حَسَبُهْ

وكقولِ الآخر:

وما يَنْفَعُ الأصلُ من هَاشمٍ إذا كانتِ النفسُ من بَاهِلَهْ

[٣]

وقَدْ فارَقَ الناسُ الأحِبَّةَ قَبْلَنا
وأعيا دَوَاءُ الموْتِ كُلَّ طَبِيبِ

✹ المناسبة التى قيل فيها:

هذا هو البيت الرابع من قصيدة يعزي بها سيف الدولة عن عبده «يماك» التركي، وقد مات بحلب سنة أربع وثلاثمائة.

اللغة: أعيا: أعْجَزَ.

الفكرة التى يدور حولها: الداءُ الذى لا دواءَ له.

نثر البيت: من قديم والناس يفارقون أحبابهم، ويحكم الموت عليهم بالفراق. ولقد عجز الأطباء عن إيجاد دواء للموت؛ فهو الداء الذى لا دواء له!

[٤]

ولَلتَّرْكُ للإحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ
إذَا جَعَلَ الإحْسَانَ غيرَ رَبِيبِ

✹ المناسبة التى قيل فيها:

هذا هو البيت الثامن عشر من قصيدة أبي الطيب التى يعزيه فيها عن عَبدِه يماك التركى، وقد مات بحلب سنة أربعين وثلاثمائة

اللغة: ربيب: تام. كامل.

الفكرة التى يدور حولها المثل: تركُ المحسنِ إحسَانَه أجملُ به أن يشوبه بالإساءة.

نثر البيت: تحدث فى بيت سابق عن أيادي الدهر فى الجمع بينه وبين سيف الدولة، وأنه لو لم يحسن إلينا بالجمع بيننا لما شعرنا بذنوبه فى تفريقنا، فبإحسانه عرفنا إساءته، وهو كالعذر له، ثم رجع إلى ذمه فى هذا البيت حين قال: إن الدهر

أحسن إلينا بالاجتماع، وأساء فيما جمع من الفرقة؛ فترك المحسن إحسانه أجمل به من أن يشوبه بالإساءة.

وخلاصة البيت: أن كل محسن لم يتم إحسانه فتركه أولى به، فهو كقوله:

أَبَـدًا تَـسْـتَـرِدُّ ما تَـهَـبُ الدُّنْيـ ـا فيالَيْتَ جُـودَهَـا كـان بُخْلَا

[٥]

فُـربَّ كَئِيبٍ لَـيْـسَ تَـنْـدَى جُفُونُه
وَرُبَّ كثيرِ الـدمـعِ غَـيْـرُ كئيبِ

* المناسبة التى قيل فيها البيت:

هذا هو البيت الخامس والعشرون من القصيدة السابقة.

اللغة: تَنْدَى جفونه: تبلّلها الدموع. كئيب: حزين.

الفكرة التى يدور حولها المثل: ليس الدمع علامة على الحزن.

نثر البيت: رب حزينٍ لا تجرى دموعه وهو فى غاية الحزن، ورب باك غزير الدمع، وهو ليس بحزين، ويقال فى مثل هذا: يبكى بدموع التماسيح.

ولقد أُخذ هذا البيت مما أنشده أبو علي فى تكملة إيضاحه:

وما كُلُّ ذى لُبٍّ بمؤتيك نُصْحَهُ وَمَـا كُـلُّ مُـؤْتٍ نُصحَهُ بِلَبِيبِ

[٦]

وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَها
ويَـجْـهَـدُ أَنْ يَـأْتِـى لَـهَـا بِـضَـرِيـبِ

المناسبة: هذا هو البيت الأخير من قصيدة العزاء السابقة.

اللغة: ويَجْهَدُ: يكل ويتعب. بضَرِيبٍ: بمثيل.

الفكرة التى يدور حولها المثل: حاسدو الشمس على نورها وكيف يقضون حياتهم.

نثر البيت: ضرب أبو الطيب مثلًا لسيف الدولة بالشمس وبحساده. فقال: من يقدر أن يأتى للشمس بمثل فليأت، فإن لم يقدر فلْيَمُت غيظًا، فكما أنه لا مِثْلَ للشمس كذلك لا مِثلَ له فى الناس.

[٧]

وَمَـنْ صَحِبَ الدُّنْيا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ
عَلَى عَيْنَيْه حتى يَـرى صِدْقَها كِذْبا

✹ المناسبة التى قيل فيها المثل:

هذا هو البيت الخامس من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر بناء مرعش سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة

اللغة: تقلبت: تحولت من حال إلى حال.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الدنيا خداعة!

نثر البيت: من عاش وخبر الحياة، ورأى تبدل صورها أمام عينيه لا يخفى عليه منها شيء، عرف أن صدقها كذب، وأنها غرور وأماني. وفيه نظر إلى قول أبي نُوَاس:

إِذَا اخْـتَـبَـرَ الدنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ
لـه عَـن عَـدُوٍّ فـى ثـياب صَـدِيـق

وصدق من قال:

هـي الدنيا تـقـول بـمـلء فيها حَـذَارِ حَـذَارِ من بَطْشِي وفَتْكِي
فـلا يَـغـرنـكُـمُ مـنـي ابـتـسـامٌ فقَوْلي مُضحِكٌ والفِعْل مُبْكي

[٨]

وَمَـنْ تَكُنِ الأُسْـدُ الـضَّـوَاري جُـدُودَه
يَكُنْ لَيلُهُ صُبْحًا ومَطْعَمُهُ غَصْبا

✹ المناسبة التى قيل فيها المثل:

هذا هو البيت الثانى عشر من قصيدة العزاء السابقة.

الفكرة التى يدور المثل حولها: الشجاع لا تعوقه الظلمات.

اللغة: الضواري من الجوارح والكلاب: المدربة على الصيد، ومن السباع: المولع بأكل اللحم. ومفردها الضاري. والغصب: الأخذ قهرًا.

نثر البيت: من كان من ولد الشجعان، وكان جدوده كالأسود التى تعودت أكل اللحوم يكن الليل له نهارًا، لأنه لا تعوقه الظُّلْمة عن إدراك ما يريد، وكان مطعمه مما يغصب من الأعداء، فهو يركبُ الليلَ لحاجاته.

قال أبو الفتح: قوله: «يَكُن ليلُه صُبْحًا» من قول الآخر:

فبادِرِ اللّيلَ ولَذّاتِه ... فإنما اللَّيْلُ نهارُ الأريب

[٩]

وإنْ كانَ ذَنْبى كُلَّ ذَنْب فإنّهُ
مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الذَّنْب مَن جَاء تَائبا

✸ المناسبة التى قيل فيها المثل:

هذا البيت هو خاتمة أبيات ستة قالها فى عتاب سيف الدولة.

اللغة: كلَّ ذَنْب: أى عظيمًا.

الفكرة التى يدور المثل حولها: مَحْو الذنب بالتوبة.

نثر البيت: إن كان ذنبى ذنبًا لا فوقه ذنب، فالتوبة من الذنب محو لا فوقه محو.

وقد نظر إلى قوله ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[1].

[١٠]

يَجَمِّشُكَ الزَّمانُ هَوًى وحُبًّا ... وقد يُؤْذَى مِنَ المِقَةِ الحبيب

✸ المناسبة التى قيل فيها المثل:

تشكّى سيف الدولة من دُمَّل فقال فيه قصيدة هذا هو البيت الثالث منها.

(١) أخرجه ابن ماجه والطبرانىّ فى الكبير، والبيهقى فى الشُّعب، ورجاله ثقات، وحسنه ابن حجر لشواهده.

اللغة: التجميش: كلمة مولّدة، وهى شبه الملاعبة والمغازلة بين الحبيبين؛ وقيل: هو مرض غير مؤلم، وقيل: هو مأخوذ من الجَمْش، وهو الحَلْب بأصبعين، والمراد به: مَسٌّ برفق. والمِقة: المحبة، وهي محذوفة الواو. والأصل: ومق.

الفكرة التى يدور المثل حولها: من الأذى ما يكون ناشئًا عن الحب. وقريب منه: * ومن الحب ما قَتل*.

المثل نثرًا: إن الذى أصابك هو لعب من الزمان لحبه لك، لأنك جماله وأشرف أهله، وإن تأذيت، فقد يكون من الأذى ما يكون مِقَةً من المؤذي.

[١١]

أَيَـدْرى مَا أَرَابَـك مَنْ يُرِيبُ؟! وهو تَرْقى إلى الفَلَكِ الخُطُوبُ؟!

* المناسبة التى قيل فيها هذا المثل:

هذا هو البيت الأول من القصيدة السابقة التى قيلت عندما تشكى سيف الدولة من دُمّل.

اللغة: أرابك: أي أفزعك. يقال: أرابه: إذا أوقع به الريبة بلا شك. وأراب: إذا لم يصرح بالريبة وقيل: رابه وأرابه: إذا أفزعه وأوقع به شيئًا يشك فى عاقبته، أخيرًا يكون أم شرًّا. والخطوب: جمع خَطْب: المصائب.

الفكرة التى يدور المثل حولها: كيف تنال الخطوب ذوى المنازل السامية؟!

المثل نثرًا: هل يدرى الدُّمّل من يُريب. وجعله فلكًا لعلو قدره. ثم قال متعجبًا: وهل يرقى إليك شيء وأنت عالٍ كالفلك، وليس إليك مصعد.

[١٢]

وَمَـا تَـرَكُـوكَ مَعْصِيةً ولكن يُعَافُ الـوِرْدُ والمَوْتُ الشَّرَابُ

المناسبة التى قيل فيها المثل: هذا هو البيت الثالث من قصيدة قالها أبو الطيب يستعطف بها سيف الدولة لبني كلاب، وكان قد أوْقع بهم وأسر منهم.

اللغة: تركوك: خالفوك. والوِرْد: هو الوُرود: أى ورود الماء.

المثل منثورًا: إنك لما طلبتهم انهزموا خوفًا منك لا عصيانًا فإذا كان الشراب هو الموت كره وروده.

[١٣]

تَـرَفّـقْ أَيُّـهَـا الـمَـوْلَـى عَلَيْهِم فـإنّ الـرِّفـقَ بالجَانِي عِـتـابُ

المناسبة: هذا هو البيت التاسع عشر من قصيدة قالها يستعطف بها سيف الدولة حين ظفر بهم وأسر منهم سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الرفق بالجاني عتاب!

نثر المثل: يريد أنهم إن كانوا قد جنوا وأخطئوا فترفق بهم، فإن من رفق بمن جنى عليه كان رفقه عتابًا، والرفق بالجاني يجعله عبدًا لك؛ فهو كقوله: *ومَا قَتلَ الأحرارَ كالعَفو عَنْهُمُ*

[١٤]

وَمَـا جَهِلتْ أيـاديـكَ الـبَـوَادِي ولكن رُبَّـمـا خَـفِـىَ الـصّـوَابُ

المناسبة: وهذا هو البيت الثالث والعشرون من القصيدة السابقة.

اللغة: البوادي: أهل البادية. والأيادي: النعم.

الفكرة التى يدور المثل حولها: ربما خفي الصواب!

المثل منثورًا: إن هؤلاء البوادي ما جهلوا نعمتك بعصيانك، ولكن ربما خفي عليهم وجه الصواب.

ويقول أبو البقاء العكبري فى شرحه للديوان: قوله:

* ربـمـا خـفـي الـصّـواب *

من إعجاز المتنبى الذى أعجز به غيره، وقد ذكرناها جملة عند قوله:

وبـضـدهـا تتبينُ الأَشْـيَـاءُ

[ولنا معك وقفة فى نهاية الكتاب نعرض عليك فيها بعض محاسن المتنبي]

[١٥]

وكَـــمْ ذنْـــبٍ مُـــوَلِّـــدُه دَلَالٌ وكَـــمْ بُـــعْـــدٍ مُـــوَلِّـــدُه اقـــتـــرابُ

المناسبة: وهذا هو البيت الذي يلي البيت السابق من قصيدة الاستعطاف.

اللغة: دلال: إظهار الجرأة كأنه يخالف وما به من خلاف.

الفكرة التى يدور حولها المثل: تولد الذنب من الدلال، والبعد من القرب.

نثر المثل: يقول: الذنب يتولد من الدلال، والبعد من القرب، وذلك أن صاحب الذنب يأتي بذنب، وهو يظنه دلالًا، وقد يكون بُعْدٌ سببه القُرب. وهو من أحسن الأشياء، وهو حكمة من أحسن الكلام، وقد جمع فيه معاني.

[١٦]

وجُـــرْم جَـــرَّه سُـفـهـاءُ قَـوم فَـحَـلّ بغَيْر جانيه الـعِـقَـابُ

المناسبة: هذا البيت تالٍ للبيت السابق من قصيدة الاستعطاف.

اللغة: الجُرْم: الذنب. السفهاء: جمع سفيه، وهم الجهّال ومن لا عقلَ له.

الفكرة التى يدور حولها: وقوع العقاب على غير من لا يستحقه.

المثل منثورًا: كم جُرْم، أو رُبَّ جُرْم - وهو الذنب والجناية - جناه سفيه، فنزل العذابُ بغيره. وهذا من أحسن الكلام والحكمة، وهو منقول من قوله تعالى:

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥].

وقال الحجاج: والله لآخُذَنَّ المحسنَ بالمسيء، والطائع بالعاصي.

وقال هذا المعنى جماعة، منهم امرؤ القيس.

وقـاهـم جَـدّهُـم ببني أبيهم وبالأشقين مـا كـان العقابُ

وقال آخر:

رأيـت الـحَـرْبَ يَجْنيها رجـالٌ ويَـصْـلَـى حَـرّهـا قَـوْمٌ بَـرَاءُ

وقال آخر:

جَنَى ابنُ عَمِّك ذَنْبًا فابتليتَ به إن الفتى بابن عَمِّ السُّوءِ مأخوذُ

وقال آخر:

نَـصُـدّ حَـيَـاءً أن نَـــراكَ بأعْيُنٍ جَنَى الذَّنْب عاصِيهَا فَلِيمَ مُطيعُها

وقال النابغة:

* كذي العَرّ يُكْوَى غيرُه وهو راتع*

وقال البحترى:

ولا عُـذْر إلا أَنّ حِلْمَ حَليمها يُـسَـفَّـهُ فـى شـرِّ جناه خليعُها

[١٧]

وإنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الغَلْبَاءُ عُنْصُرَها فإن فى الخمر مَعْنًى ليس فى العِنَبِ

المناسبة: هذا هو البيت العشرون من قصيدة قالها يرثي أخت سيف الدولة، وقد توفيت بميّافارقين سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة.

الفكرة التى يدور حولها النص: قد يتفوق الفرع على الأصل.

نثر البيت: يقول: هذه وإن كانت من تغلب الغالبين الناسَ لشجاعتهم وعزهم، فإنها أفضل منهم، لأن العنب أصل الخمر، وفى الخمر معانٍ ليست فيه، وهذا تفضيل لها على قومها، وهو كقوله:

فـإنّ المسك بعضُ دَم الغَزالِ

يريد أن فيها معاني من الكمال ليست فى تغلب. وقال الواحدي: الغَلْباء: الغِلاظ الرقاب، نعتهم بغلظ الرقبة، لأنهم لا يذلون لأحد، ولا ينقادون له. انتهى كلامه. وعجز هذا البيت من الكلام الجيد، وما فى القصيدة مثله.

[١٨]

وعَـادَ فى طَلَب المتروكِ تاركُه إنـا لنَغْفُل والأيـامُ فى الطّلب

المناسبة: هذا هو البيت الثانى والثلاثون من قصيدة الرثاء السابقة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الأيام غير غافلة عن طلب ما تتركه.

نثر المثل: يريد أن الموت ترك الأخت الكبرى وأخذ الصغرى ثم عاد فطلب الكبرى.

ومعنى هذا البيت والذى قبله: قد قاسمك الشخصين دهرُهما إلخ مأخوذ من قول ابن الأعرابي:

وقاسَمَنِى دَهْــرى بَنِيَّ شاطرًا فلما تقَضّى شَطْرَه عاد فى شَطْري

وقوله: «إنا لنَغْفُل.. إلخ» من أحسن الكلام وأوعظه. وهو كثير فى الكلام.

[١٩]

فَـلاَ تَنْلك اللّيالِي إنّ أيْدِيَهَا إذا ضَرَبْنَ كسَرْنَ النّبْعَ بالغَرِبِ

المناسبة: هذا هو البيت السابع والثلاثون من قصيدة الرثاء السابقة.

اللغة: النبع: شجر صلب ينبت فى رؤوس الجبال تتخذ منه القِسيّ. والشوحط: ينبت فى أسفل الجبال، والغَرَب: نبت ضعيف ينبت على الأنهار.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الدعاء بالأمن من الليالي.

نثر البيت: يدعو له ألا تناله الليالي؛ فإنها إذا ضربت كسرت القوي بالضعيف، وهذا مثل حسن.

[٢٠]

وَلاَ يُـعِـنَّ عــدوًّا أنــتَ قَـاهِـرُه فَإنَّهُنّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بالخَرَب

المناسبة: وهذا البيت يتلو البيت السابق من قصيدة الرثاء.

اللغة: الخَرَب: هو ذكرُ الحُبارَى، وجمعه خَربان. والأخرب: المشقوق الأذن. مصدره الخرب أيضًا. ويُعِنّ الإعانة والضمير لليالي.

الفكرة التى يدور حولها المثل: صيد القوى بالضعيف.

نثر المثل: يدعو له أن لا تعين الليالى من عاداه، فإنهن يَصِدْن القوىّ بالضعيف. وهذا مثل حسن مثل سابقه.

[٢١]

وإن سَـرَرْنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعْنَ به وقَدْ أتينَك فى الحالَيْن بالعَجَبِ

المناسبة: وهذا البيت تالٍ لسابقه.

اللغة: فجعه: أوجعه بفقد عزيز لديه.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الليالى غريبة الأطوار لا تبقى على حال.

نثر البيت: يقول: إن سَرّتك الأيام بمحبوب فجعلتك بفقده إذا استردته، وقد أرينك العجب حيث سررنك ثم فجعنك، فهي سبب للسرور والفجيعة. وهذا عجب أن يكون شيء واحد سببًا للسرور والفجيعة.

[٢٢]

ومَـا قَضَى أَحَـدٌ مِنْها لُبَانَتَهُ ولا انتهى أَرَبٌ إلّا إلـى أَرَبِ

المناسبة: أحد أبيات القصيدة السابقة.

اللغة: اللُّبانة: الحاجة، وأصله: أن الرجل منهم كان يطلب اللبن من غيره، فيقولون: أعطاه لُبانته: أى شيئًا من لبن. ثم كثر حتى صار كل حاجة. والأرب: الحاجة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: حاجات من عاش لا تنقضي..

المثل منثورًا: يقول: لا تنقضى حاجة أحد من الليالى، وذلك أن حاجات الإنسان لا تنقضي، كلما قضى حاجة أتت أخرى. وهو كقول الآخر:

تـمـوتُ مـع الـمـرء حَـاجَـاتُـهُ وتـبـقـى لـه حـاجـةٌ مـا بَقي

[٢٣]

ومَـنْ تَفَكّر فى الدنيا ومُهْجَتِه أَقَامهُ الفِكْرُ بين العَجْزِ والتَّعَب

المناسبة: هذا هو البيت الأخير من القصيدة السابقة.

اللغة: المهجة: الروح.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الإنسان فى طلب الدنيا بين إقدام وإحجام.

نثر المثل: يريد بإقامة الفكر بين العجز والتعب: أنَّه يتعب تارة فى طلب الدنيا، وتارة يترك طلبها خوفًا على مهجته، فلا ينفك عن طلب وعجز، فالطالب فى تعب، والقاعد عاجز، وعجزه للخوف على مهجته، فلو تيقن سلامة مهجته ما قعد عن الطلب.

[٢٤]

حُسْنُ الحضارة مجلوبٌ بتَطرِيَةٍ وفى البَدَاوةِ حُسْنٌ غير مَجْلُوبِ

المناسبة: هذا هو البيت الثاني عشر من قصيدة قالها يمدح كافورًا سنة ست وأربعين ثلاثمائة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الفرق بين حسن الحضارة وحسن البداوة.

اللغة: الحضارة، الإقامة فى الحضر. والبداوة: الإقامة فى البدو. والمراد: حسن أهل الحضارة، وحسن أهل البداوة. فحذف المضاف.

نثر المثل: يقول: حُسْنُ الحضريات مجلوب بالاحتيال، وحُسْن البدويات طَبْع طُبِعْن عليه.

[٢٥]

فما الحَدَاثَةُ من حِلْم بمانعةٍ قد يُوجَدُ الحِلْم فى الشبان والشِّيب

المناسبة: هذا هو البيت التاسع عشر من القصيدة السابقة.

اللغة: الحداثة: يريد الشباب وحداثة السن.

الفكرة التى يدور حولها المثل: قد يكون الشابُّ حليمًا كالشِّيبِ.

نثر المثل: يقول: قد كنت قبل تحليم الحوادث حليمًا، فإن الشباب لا يمنع من الحلم، فقد يكون الشاب حليمًا كما قال حبيب.

حلّمْتني زعمتم وأرانـي قبل هذا التحليم كنتُ حليمًا

[٢٦]

وما الخيلُ إلا كالصّديقِ قَلِيلَةٌ وإن كَثُرتْ فى عَيْن مَنْ لا يُجَرِّبُ

المناسبة: هذا هو البيت الثانى عشر من قصيدة يمدح بها كافورًا الإخشيدي وكان قد حمل إليه ستمائة دينار.

الفكرة التى يدور حولها مثل: قلة الأصدقاء.

نثر المثل: يقول: الخيل قليلة كقلة الصديق، وإن كانت كثيرة فى العدد، وكذلك الصديق كثير عددهم، ولكنهم عند التحصيل والتحقيق قليلون؛ لأن

الصديق الذى يعتمد عليه فى الشدائد قليل، وكذلك الخيل التى تلحق فرسانها بالطلبات قليلة، ومن لم يجرب الخيل ويعرفها يراها فى الدنيا كثيرة، وكذلك من لم يجرب الأصدقاء ويختبرهم عند شدته يراهم كثيرين.

والمعنى: أن الخيل الأصيلة المجربة قليلة، والصديق الذى يصلح لصديقه فى شدته قليل؛ ولهذا قيل: لا يعرف الأخ إلا عند الحاجة.

[٢٧]

إذا لَمْ تُشَاهِدْ غيْرَ حُسْنِ شِيَاتِها وأعْضائِها فالحُسْنُ عنك مُغَيَّبْ

المناسبة: هذا هو البيت التالي للبيت السابق من القصيدة السابقة.

اللغة: الشياتُ: جمع شِيَة، وهى اللون.

الفكرة التى يدور حولها البيت: حسن الخيل يتجلى فى العَدو والجري.

المثل منثورًا: يقول: إذا لم تر من حُسَنْ الخيل غير حُسْن الألوان والأعضاء فلم تر حسنها، إنما حُسْنُها فى العَدْو والجري.

[٢٨]

لَحَا اللهُ ذِى الدُّنْيَا مَنَاخًا لِرَاكِبٍ فكُلُّ بَعِيدِ الهَمّ فيها مُعَذَّبُ

المناسبة: وهذا هو البيت التالى للبيت السابق.

اللغة: لحَا الله:دعاء عليها. وأصله من لحوت العود! إذا قشرته. ولحوت العصا لحوًا: قشرتها، وكذلك لحيت العصا ألحى لحيًا. قال الشاعر:

لحيتهمُ لحى العصا فطردتُهم إلـى سـنّـةٍ قـردانـهـا لـم تحلّم

وقولهم: لحاه الله: قبحه ولعنه. وفى المثل: من لاحاك فقد عاداك. ومُناخًا: منزلًا.

الفكرة التى يدور حولها المثل: موقف الدنيا من أصحاب الهمم الكبيرة.

نثر المثل: يقول فى ذم الدنيا: هى بئس المنزل، هى تعذب أصحاب الهمم العالية.

[٢٩]

وكُلُّ امرئ يُولِى الجميلَ مُحَبَّبُ وكُـلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طيبُ

المناسبة: هذا هو البيت الثامن والعشرون من القصيدة السابقة.

اللغة: يُولِى الجميل: يعطيه ويقدمه من ذات نفسه.

الفكرة التى يدور حولها المثل: من يولى الجميل فهو محبوب طيب.

نثر البيت: يريد أن الممدوح يوليه الجميل ويحبه، فهو عنده طيب يختاره على أهله.

قال ابن جني: كل من حصل فى خدمتك علا قدره، ومثل البيت قول البحتري:

وأحَـبُّ أوطـانِ البلادِ إلى الفتى أرضٌ ينالُ بها كريمَ المطْلَبِ

[٣٠]

ولو جاز أن يَحْوُوا عُلاك وهبتَها ولكنْ مِنَ الأشياءِ ما لا يُوهَبُ

المناسبة: وهذا هو البيت الثاني والثلاثون من نفس القصيدة السابقة.

الفكرة التى يدور حولها البيت: من الأشياء مالا يوهب.

نثر المثل: يقول: لو كانت العلا موهوبة وهبتَها، بل من الأشياء مالا يوهب كالعلا والشرف والفضل، وما أشبه هذا، وهذا من قول حبيب:

وانْفَحْ لنا من طِيبِ خيمك نَفْحَةً إن كانت الأخـلاقُ مما يُوهَبُ

وأصله من قول جابر:

وإن يقتسم مالي بَنِيّ ونِسْوَتي فلن يقسموا خُلُقِي الكريم ولا فَضِلَى

[٣١]

وأظْلَمُ أهْلِ الظُّلْمِ مِنْ باتَ حاسِدًا لِمَنْ بـاتَ فى نَعْمَائه يَتَقَلَّبُ

المناسبة: هذا هو البيت التالي للبيت السابق.

اللغة: يتقلّب: يتنعّم ويعيش.

الفكرة التى يدور حولها البيت: حسد ولي النعمة.

نثر البيت: أشد الظلم وأقبحه حسد المنعم عليك. يريد: من بات فى نعمة رجل ثم بات حاسدًا له فهو أظلم الظالمين. يريد: أن الحاسدين يحسدونه وهو ولي نعمتهم، وهو منقول من قول الحكيم: أقبح الظلم حَسَدُ عبدك الذى تنعم عليه.

[٣٢]

وقد يَتْرُكُ النَّفْسَ التى لا تَهَابُه ويخترم النَّفْسَ التى تتهَيَّبُ

المناسبة: هذا هو البيت السابع والثلاثون من القصيدة التى يمدح بها كافورًا.

اللغة: يخترم: ينفذ. يأخذ ويصيب.

الكفرة التى يدور حولها البيت: كيف يتصرف الموت؟!

نثر المثل: قد ينجو من الموت من يطرح نفسه فى المها لك، وقد يصيب الموت من يحترس منه، وهذا من أحسن المعاني؛ لأنه قد ينجو من الموت من يوقع نفسه فى كل مهلكة، ويقع فيه من يحذره ويخافه.

[٣٣]

ولِلسِّرِّ مني مَوْضِعٌ لا يناله نديمٌ ولا يُفضِي إليه شرابُ

المناسبة: هذا هو البيت الثاني عشر من قصيدة قالها يمدح كافورًا ولم يَلْقَه بعدها.

اللغة: يُفضي: يقال: أفضى يفضي إذا وصل إلى الشيء، والنديم: الجليس على الشراب.

الفكرة التى يدور حولها المثل: كتمان السر.

نثر المثل: يريد أنه يكتم السِّر فيضعه بحيث لا يبلغه النديم، ولا يصل إليه الشراب مع تغلغله فى البدن، ومثله قول الشاعر:

تَغَلْغَل حُبُّ غنمة فى فؤادي فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ ولا حُزْنٌ ولم يبلغ سرور

[٣٤]

وما العِشْقُ إلا غِـرّةٌ وطَمَاعةٌ يُـعَـرِّضُ قلْبٌ نفسَه فَتُصابُ

المناسبة: هذا هو البيت الرابع عشر من القصيدة السابقة.

اللغة: الغِرّة: الاغترار.

الفكرةالتى يدور حولها: العشق اغترار وخداع وطمع فى الوصل.

نثر المثل: إن القلب يشتهي أولًا، وتتبعه النفس إذا جعلت النفس غير القلب، وإن جعلت النفس هى القلب، قلت: فيصاب (بالياء) والمعنى: أن القلب يوقع النفس فى البلاء بتعرضه لذلك، فالعشق اغترار وخداع وطمع فى الوصل.

[٣٥]

وغَـيْـرُ فـؤادي للغواني رَمِـيَّـةٌ وغَـيْـرُ بَنَانِي للزُّجاج رِكـابُ

المناسبة: هذا هو البيت التالي للبيت السابق.

اللغة: الغواني: جمع غانية. قيل: هى التى تقيم فى بيت أبيها، من غَنِيَ بالمكان، إذا أقام به؛ وقيل: التى غنيت بجمالها عن التجمل بالحلي وغيره؛ وقيل: التى غنيت بزوجها عن غيره؛ وقيل: هى الشابة. والرميّة هى الطريدة التى تُرْمى. البنان: أطراف الأصابع. واحدته بنانة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: العزوف عن النساء والخمر.

نثر المثل: قال أبو الفتح: يريد: لست ممن يصبو إلى الغواني واللعب بالشطرنج لأنه روح (للرِّخاخ) بالخاء المعجمة، جمع رُخّ.

وقال ابن فورجة ردًّا عليه: البنان ركاب القداح، وأما الرخ فالبنان راكبة له فى حال حمله، وأيضًا فإنه كلمة أعجمية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء، والتنزه عن شرب الخمر أليق بالتنزه عن الغزل من اللعب بالشطرنج.

وقال غيره: قلبي لا تصيبه النسوان بسيوف ألحاظهن، لأني لا أميل إليهن فإني لست غزلًا زيرًا، أنا عزوف النفس عنهن، ولا أحب الخمر ومعاقرتها، فبناني لا يركبه الزجاج، لأنى لا أحمل كأس الخمر بيدي.

[٣٦]

أَعَزّ مكانٍ فى الدُّنَى سَرْجُ سابِحٍ وخَيْرُ جليس فى الزمان كتاب

المناسبة: هذا هو البيت الثامن عشر من قصيدته التى قالها يمدح كافورًا ولم يلقه بعدها.

اللغة: الدُّنى: جمع دنيا. والسابح من الخيل: الشديد الجري فكأنه يسبح فى جريه.

الفكرة التى يدور حولها المثل: أعز مكان وخير جليس.

المعنى: جعل السرجَ أعز مكان؛ لأنه يبلغ عليه ما يريد من لقاء الملوك، ومن محاربة الأعداء، ويهرب عليه من الضيم واحتمال الأذى، فيدفع عن نفسه الشر، وعليه يصل إلى الخير.

وأما الكتاب؛ فإنه يقص عليه أنباء الماضين، ولا يحتاج له إلى تكلف. وهذا كقول أبي الحسن بن عبد العزيز:

ما تطعمت لذة العيش حتى صِرتُ فى وحدتى لكتبي جليسَا

[٣٧]

أيا أسدًا فى جسمه روحُ ضَيْغَمٍ وكَمْ أُسْدٍ أرواحُهُنّ كِلابُ

المناسبة: هذا هو البيت السادس والعشرون من القصيدة السابقة فى مدح كافور.

اللغة: الضيغم: من أسماء الأسد. وأصل الضيغم: العض، وضغمه: عضه.

الفكرة التى يدور حولها البيت: علو الهمة.

نثر المثل: يقول: أنت أسد، وهمتك همة الأسود، والأسد يوصف بعلو الهمة؛ لأنه لا يأكل إلا من فريسته، ولا يأكل مما افترس غيره، وقد قال الشاعر:

وكانُوا كأنِف الليثِ شَمَّ مُرْغَمًا ولا نَالَ قَطُّ الصيّدَ حتى تَعَفَّرا

يعنى أنه لا يطعم إلا ما صاده بنفسه، وقوله: «وكم أسد أرواحهن» يريد: كم من أسد خبيث دنيء النفس، وأنت أسد من كل الوجوه، لأنك رفيع الهمة، طيب

النفس شجاع، وهذا مثل ضربه لسائر الملوك، وأنت أعلى الملوك، همتك عالية كهمة الأسود.

[٣٨]

وَقَدْ تُحْدِث الأيام عندك شيمة وتَنْعَمِرُ الأوقاتُ وهي يَبابُ

المناسبة: وهذا هو البيت التاسع والعشرون من قصيدة مدح بها كافورًا.

اللغة: الشيمة: العادة. واليباب: الخراب الذى ليس به أحد وأنشد أبو زيد:

قد أصبحتُ وحوضُها يَبابُ كأنها ليس لها أربابُ

الفكرة التى يدور حولها البيت: قد تخلف الأيام عادتها.

نثر المثل: لقد تركت الأيام عادتها فجعلتني فى جوارك خوفًا منك ورهبة، فلم تعد تستطيع الإساءة إلىّ.

[٣٩]

إذا نِلْتُ منكَ الوُدَّ فالمالُ هَيِّنٌ وكُلُّ الذى فوق التُّراب تُرابُ

المناسبة: وهذا هو البيت الحادي والأربعون من قصيدة مدح كافور السابقة.

الفكرة التى يتناولها البيت: المحبة هى الأصل، وكل ما على وجه الأرض فهو منها.

نثر البيت: إذا كان لى منك المحبة فالمال هين، ليس بشيء. المحبة هى الأصل، وكل ما على وجه الأرض فأصله منها. يعني من التراب، ويصير إلى التراب.

[٤٠]

ولكِنكَ الدّنيا إلىّ حبيبةً فما عنك لي إلا إليك ذَهَابُ

المناسبة التى قيل فيها: هذا البيت هو ختام قصيدة المدح لكافور ولم يلقه بعده.

الفكرة التى يدور المثل حولها: السلطان هو الدنيا.

نثر البيت: يريد أنك السلطان، والسلطان هو الدنيا، وأنت جميع الدنيا، فإن ذهبت عنك عدت إليك، فالحي لابد له من الدنيا.